وبوصول جون فيليبي ، الى فلسطين ، الذي أشهر اسلامه وتسمى باسم عبدالله ، تم التغرير بقادة الحركة الوطنية حين بسط أمامهم مشروعا بحل القضية ، واستكمالا لعملية التغرير ، أرسلت الحكومة البريطانية ، لجنة برلمانية ، في محاولة منها لالهاء العرب وتبريد الموقف ص (١٠١ ، وفي العام التالي ١٩٣٠ أصدرت بريطانيا كتابها الابيض ، حيث أكدت فيه ، أن صك الانتداب هو تعهد دولي لا يمكن العدول عنه ، وفي هذا الوقت ، هب العرب ، واقتحموا الحدود من الاردن وسيناء وسوريا لنجدة اخوانهم في فلسطين ص ١٠٤ ، بيد أن هذه الهبة لم تتطور باتجاه ثوري بسبب قصر عمرها ، ولفشلها عدة أسباب يبرزها المؤلف : أولا ـ حرمان الحركة الوطنية من القيادة الثورية ، ثانيا ـ ضعف الثورة نتيجة تفتتها ، ثالثا ـ الضباب الفكري ، فلا فكر ثوري يفرز الاصدقاء عن الاعداء ، ويحدد معالم الطريق ، ومن ثم الافتقار الى برنامج سياسي وعسكري صحيح .

على ان هذه الهبة اقنعت الجماهير بان الصهيونية ، تستند الى الحرب الامبريالية البريطانية .

ان الاكتشاف الاول والاهم ، الذي حققه المؤلف ، هو عدم وجود الامان للقيمة الزائدة ، لدى البرجوازية في سوريا ، وكان في مقدور الباحث ان يستفيد من اكتشافه هذا ، بأن يستخدمه كبوصلة ، يتحرك على هديها لتعرية الاسباب التحتية التي جعلت البرجوازية العربية تظل اسيرة التردد والمماحكات ، ولكنه لم يستفد من اكتشافه بل أورده كرأي فحسب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى اتضح في هذا الفصل ، ان المؤلف يصف شيئا جديدا وهو لايلقي الاتهامات جزافا ، فلا يصنف قادة تلك المرحلة في خانة الخونة ، ولكنه يشدد على ان مواقفهم المتخذة تنبع من مواقعهم الطبقية وان كان هذا التحليل يفلت من بين اصابع المؤلف في احيان كثيرة الا انه يفيدنا حقا، غير انه ، اي الباحث ،يفقد قدرته على التمييز بين الهام والجوهري من جهة ، وبين الاني والعابر من جهة اخرى ، فهو يحدثنا عن احداث لا تكمن فيها أي أهمية ، وهو يتناسى تلك النظرة الميتافيزيقية التي كانت تعتنقها الجماهير وكان لها اكبر الاثر في امور كثيرة ، ومن الواضح أيضا أن النظرية عنده تستبق البحث ، ولنلاحظ أن المنهج الماركسي يستخلص النظرية من اعماق الواقع وليس العكس ، والباحث اراد فرز الطبقات ، واثرها في المجتمع الفلسطيني ،فسقط في هوة التبسيط والتسطيح .

الفصل الثالث ـ الحركة الوطنية تستكمل ملامحها . يرسم المؤلف ، في هذا الفصل ، الخطوط العامة لصورة مسار الحركة الوطنيه ، فيسجل : انه بانتكاسة هبة آب ١٩٢٩ ، تأكد للجماهير العربية الفلسطينية ، عقم اساليب النضال السلبية التي انتقتها لها قياداتها الرجعية ، وتميزت الفترة التالية ، التي انتهت بانتهاء ١٩٣٩ ، بالمسار الصحيح للنضال ،نضال ضد العدو الرئيسي ، الاستعمار البريطاني ص(١١١ ، وافادت تقارير البوليس والمخابرات البريطانية ، في فلسطين وشرق الاردن ، تشرين الاول ١٩٣٩ ، ان الاعداد لتكوين عصابات مسلحة كان يجري على قدم وساق ص ١١٢ ، ويعلن الباحث ، ان هذا التطور اتى تعبيرا عن نمو الطبقات الجديدة ، البرجوازية بفئاتها، والعمال ، وفي اطار تفاقم الازمة الاقتصادية العالمية ص ١١٣ ، ونتيجة لطرد الفلاحين من اراضيهم ص ١١٣ ،كل هذا انعكس في المجال السياسي ، وادى الى احداث تمايز طبقي وطني ثوري ، تمثل في تبني كبار الملاك للاتجاه الديني ، وتبني العناصر البرجوازية للاتجاه القومي الليبرالي ص ١١٤ ، ثم ادى فتح الاسواق ـ بواسطة الاستعمار ـ الى احداث تغييرات جوهرية في التكوين الاجتماعي ، اضمحلت على اثره العلاقات الاقطاعية ص ١١٦ ، ولكن يضيف الباحث ، انه من المألوف ان تتسم برجوازية المستعمرات بالمحافظه ، نتيجة العوامل التالية : اولا ـ انحدارها من طبقة الملاك الشديدة المحافظة ، ثانيا ـ طبيعتها الطفيلية ، بسبب نشأتها في احضان الاستعمار . ثالثا ـ انعدام تراثها الفكري والحضاري .

لا بد لنا من ابداء ملاحظة فورية على هذه النقاط ، لقد قال لنا المؤلف في الفصل الاول ان